منهج الإمام أبي إسحاق الحربي في التفسير
دراسة وصفية

أ٠د٠ أحمد بن سليمان بن صالح الخضير (*)

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فقد كانت البشرية تموج بالفوضى، والاضطرابات، وتدهور الأخلاق حتى أذن الله بظهور شمس الإسلام، ونزول القرآن الكريم الذي فيه بيان الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والذي تكفل الله بحفظه بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر]، وتحقيقاً لوعد الله بذل الصحابة والتابعون – رضوان الله عليهم – جهوداً كبيرة في خدمة الكتاب العزيز في التفسير، والقراءات، وغيرها، كما بذل من جاء بعدهم من العلماء في ذلك جهوداً عظيمة فألفوا في التفسير، والقراءات، والناسخ والمنسوخ وسائر علوم القرآن، وممن كانت له عناية في التفسير أبو إسحاق

(*) أستاذ بقسم القرآن الكريم وعلومه – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم.
Prof. Ahmed bin Suleiman bin Saleh Al-khudair
Department of the Noble Qur'an and its Sciences
College of Shariah and Islamic Studies, Qassim University
basel١@qu.edu.sa

الحربي، حيث كان له مصنفٌ في التفسير كما ذكر المترجمون له، إلا أن هذا التفسير ما زال مفقوداً مما يجعل الحاجة ملحة إلى جمع أقواله المتناثرة في كتبه، وقد عزمت بإذن الله عز وجل وتوفيقه أن أقوم بدراسة وصفية لمنهج الحربي في التفسير ويكون موضوع بحثي: (منهج الإمام أبي إسحاق الحربي في التفسير- دراسة وصفية).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ترجع أهمية الموضوع وأسباب اختياره إلى أمور منها:

أولاً: مكانة أبي إسحاق الحربي، وغزارة علمه وتميز مؤلفاته.

ثانياً: اهتمامه بالرواية بالسند في ذكره لأقوال الصحابة والتابعين في التفسير.

ثالثاً: اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة وبآثار السلف.

رابعاً: عنايته بالترجيح بين الأقوال.

خامساً: اهتمامه بالجانب اللغوي.

أهداف البحث:

- إبراز جهود أحد أعلام الحنابلة في خدمة القرآن وعلومه، خاصة أنه يخفى على الكثير تراثهم في التفسير وعلوم القرآن لكونه لم يحظ بالعناية والنشر، كما عنيت به سائر كتبهم.
- بيان جهوده في التفسير.
- إبراز منهج السلف في التفسير.

خطة البحث:

تشمل خطة البحث مقدمة، وتمهيداً، وقسمًا، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة:

وتشمل ما يلي:

- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.
- خطة البحث، وبيان المنهج المتبع فيه.

التمهيد:

ترجمة موجزة لأبي إسحاق الحربي، ومصنفه في التفسير.

القسم الأول:

مصادر أبي إسحاق الحربي في التفسير ومنهجه، (وفيه تمهيد وبابان):

. التمهيد: سمات التفسير في عصره.

. الباب الأول: مصادر أبي إسحاق الحربي في التفسير وخصائص منهجه، وطريقته في الاختيار والترجيح (وفيه فصلان):

. الفصل الأول: مصادره في التفسير وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادره في علوم القرآن.

المبحث الثاني: مصادره في الحديث.

المبحث الثالث: مصادره في اللغة.

– الفصل الثاني: خصائص منهجه، وطريقته في الاختيار والترجيح (وفيه مبحثان):

المبحث الأول: خصائص منهجه.

المبحث الثاني: طريقته في الاختيار والترجيح.

الباب الثاني: منهج أبي إسحاق في التفسير (وفيه تسعة فصول):

الفصل الأول: منهجه في تفسير القرآن بالقرآن.

الفصل الثاني: منهجه في القراءات.

الفصل الثالث: منهجه في تفسير القرآن بالسنة.

الفصل الرابع: منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

الفصل الخامس: منهجه في تفسير القرآن باللغة العربية.

الفصل السادس: منهجه في مسائل علوم القرآن.

الفصل السابع: منهجه في آيات الاعتقاد.

الفصل الثامن: منهجه في آيات الأحكام.

الفصل التاسع: مقارنة بين منهج أبي إسحاق الحربي وأبي إسحاق الزجاج في التفسير.

وسأسلك في هذه الدراسة المنهج الوصفي وفق إجراءات البحث العلمي المعروفة.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

ويعقبها فهرس لأهم المصادر والمراجع.

التمهيد

ترجمة موجزة لأبي إسحاق الحربي، ومصنفه في التفسير:

هو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبدالله بن ديسم المروزي الحربي أبو إسحاق.

واشتهر الإمام أبو إسحاق الحربي بهذه النسبة وهي بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين وفي آخرها الباء المعجمة بواحدة، وهي نسبة إلى قرية تسمى الحَرْبية بالقرب من بغداد، وبالتحديد في غرب بغداد، وذكر أن فيها جامعاً وسوقاً وبينها وبين بغداد اليوم نحو ميلين، وسميت هذه القرية بذلك الاسم نسبة إلى حرب بن عبدالله البلخي أحد قواد أبي جعفر المنصور.

وسئل الإمام أبو إسحاق عن سبب نسبته إلى الحربية فقال: "صحبت قوماً من الكَرْخ على الحديث وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة من الحربية فسموني الحربي بذلك"، وسئل عن أخواله فقال: " أمي تغلبية وكان أخوالي نصارى أكثرهم".

وقد وُلد الإمام أبو إسحاق الحربي سنة (١٩٨هـ)[١].

---

(١) انظر: ابن النديم في فهرسته (٣٢٣) ط دار قطريب، والخطيب البغدادي في تاريخه (٥٢٢/٦) ط دار الغرب الإسلامي، والقاضي أبي الحسن بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢١٨/١) ط دار الأمانة العامة، وابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣/٦) ط دائرة المعارف، والسمعاني في الأنساب (٤٢/٢) ط دار إحياء التراث، وياقوت الحموي في معجم الأدباء (١١٢/١) ط دار إحياء التراث، ومعجم البلدان (٢٣٦/٢) ط دار إحياء التراث، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٥٦/١٣) ط مؤسسة الرسالة، والمقصد الأرشد لابن مفلح (٢١١/١) ط مكتبة الرشد، والمنهج الأحمد للعليمي (٢٨٣/١) ط عالم الكتب.

قال عنه الخطيب البغدادي:

"كان إماماً في العلم رأساً في الزهد عارفاً بالفقه بصيراً في الأحكام حافظاً للحديث مميزاً لعلله قيماً بالأدب جماعاً للغة وصنف كتباً كثيرة... إلخ "[1].

أما مصنفه في التفسير:

فالإمام أبو إسحاق الحربي معروف بالتصانيف الكثيرة، ولهذا قال عن نفسه.

- رحمه الله : " هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبتها بخطي... ".

وقد وصف رحمه الله بأنه صاحب التصانيف الكثيرة، ومن تصانيفه رحمه الله في علم التفسير على وجه الخصوص:

١- كتاب التفسير: ذكره ابن حجر في التهذيب[2] في ترجمة مقاتل بن سليمان وفيه: " قال إبراهيم وإنما جمع مقاتل تفسير الناس وفسر عليه من غير سماع، قال إبراهيم: ولم أدخل في تفسيري عنه شيئاً، قال إبراهيم تفسير الكلبي مثل تفسير مقاتل سواء".

٢- كتاب سجود القرآن: مخطوط.

٣- كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه: مخطوط.

أما مصنفاته الأخرى فمنها:

١- كتاب غريب الحديث، مطبوع.

٢- وكتاب إكرام الضيف، مطبوع.

٣- وكتاب الأدب، مخطوط.

٤- وكتاب المغازي، مخطوط.

٥- وكتاب التيمم، مخطوط.

٦- وله مسائل للإمام أحمد، مخطوط.

---

(١) تاريخه (٥٢٢/٦).

(٢) (١٤٤/٤).

٧- وكتاب دلائل النبوة، مخطوط.
٨- وكتاب ذم الغيبة، مخطوط.
٩- وكتاب النهي عن الكذب، مخطوط.
١٠- وكتاب الحمام وآدابه، مخطوط.
١١- وكتاب المناسك، مطبوع بتحقيق حمد الجاسر.
١٢- وكتاب السري، مخطوط.
١٣- وكتاب العلل، مخطوط.
١٤- وكتاب الهدايا والسنة فيها، مخطوط.
١٥- وكتاب النهي عن الهجران، مخطوط.
١٦- وكتاب الطهارة[١]، مخطوط.

أما شيوخه فهم خلق كثير ومنهم:

عبدالله بن صالح العجلي (ت ٢١١)، وأبو نعيم الفضل بن دكين (ت٢١٨)، وعفان بن مسلم (ت٢١٩).

ثم انتهت الإمامة إلى أبي إسحاق الحربي بعد وفاة شيوخه، فجاءه طلاب العلم من كل صقع، وهاك أسماء بعض من سمعوا منه وأخذوا عنه:

أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي (ت٣٦٨)، وأبو بكر أحمد بن سلمان النجاد (ت٣٤٨)، وأبو بكر محمد بن عبدالله الشافعي (ت٣٥٤)[٢].

وفاته:

وفي يوم الإثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة (٢٨٥هـ) مات الإمام أبو إسحاق الحربي ودفن في يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة.

---

(١) انظر: الفهرســـت (٨٠)، والخطيب البغدادي (٥٢٣/٦)، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (٢٢٠/١)، وابن الجوزي في المنتظم (٣/٦)، ومعجم الأدبـاء (١١٢/١)، وابن حجر في التهذيب (١٤٤/٤).

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٥٢٢/٦)، وطبقات الحنابلة (٢١٩).

القسم الأول

مصادر أبي إسحاق الحربي ومنهجه في التفسير

(وفيه تمهيد وبابان)

التمهيد: سمات التفسير في عصره.

الباب الأول: مصادر أبي إسحاق الحربي في التفسير وخصائص منهجه وطريقته في الاختيار والترجيح، وفيه فصلان:

الفصل الأول: مصادره في التفسير، وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: مصادره في علوم القرآن.**
- **المبحث الثاني: مصادره في الحديث.**
- **المبحث الثالث: مصادره في اللغة.**

الفصل الثاني: خصائص منهجه وطريقته في الاختيار والترجيح، وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: خصائص منهجه.**
- **المبحث الثاني: طريقته في الاختيار والترجيح.**

القسم الأول

مصادر أبي إسحاق الحربي ومنهجه في التفسير (وفيه تمهيد وبابان):

التمهيد:

سمات التفسير في عصره:

إن الناظر في التأليف على وجه العموم وفي التفسير على وجه الخصوص يجد أن عصر الإمام أبي إسحاق الحربي تميز عن غيره من العصور – في طريقة التأليف في التفسير – بظاهرة كثرة النصوص واتساعها وتنوعها، وهو التأليف على طريقة المحدثين ومنهجهم في عرض الروايات وتوجيهها ونقدها أحياناً ويتعاملون معها في الاستنباط والاستنتاج، فيذكرون أولاً تفسير الآية الكريمة المراد تفسيرها، ثم يثنون بعد ذلك بالرواية عن الصحابة والتابعين في بيان معنى الآية المفسرة ويذكرون بذلك أقوالاً وروايات متفقة أو متباينة، ثم يختار المفسر ما يراه أشبه بمعنى الآية المفسرة، وقد يذكرون بعض الروايات الضعيفة للاستئناس بها في توضيح معنى الآية والتوسع في معناها وإشباع القول فيها، وهم مع ذلك يذكرون اختلاف أهل اللغة في تفسير معنى الآية المفسرة وبيانها، وهذه هي السمة البارزة في هذا العصر، وهذا ظاهر من خلال دراستي لأقواله – والله تعالى أعلم.

الباب الأول: مصادره في التفسير (وفيه ثلاثة مباحث):

المبحث الأول: مصادره في علوم القرآن:

اعتمد الإمام أبو إسحاق الحربي في تفسيره على مصادر منها ما تلقاه سماعاً من أشياخه، ومنها ما نقله من كتب من سبقه من أهل العلم وبخاصة كتب المعاني التي كانت موجودة في عصره ككتاب معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة وغيرها، وقد يصرح، الإمام أبو إسحاق الحربي بالأخذ من هذه الكتب تارة، وتارة لا يصرح إضافة إلى ما كان ينقله من أقاويل أهل التفسير من الصحابة والتابعين.

المبحث الثاني: مصادره في الحديث:

لم يصرح الإمام أبو إسحاق الحربي بأسماء المصادر التي رجع إليها في نقل الأحاديث النبوية، وإنما كان – رحمه الله – يسوق الأحاديث يستشهد بها في تفسير الآية بالإسناد عن شيوخه.

المبحث الثالث: مصادره في اللغة:

استمد الإمام أبو إسحاق الحربي مادته اللغوية من مصادر كثيرة ومتنوعة منها كتاب العين للخليل، وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني، كما رجع الإمام أبو إسحاق إلى ما ألفه كبار اللغويين في تفسير الغريب والنوادر في أبواب متفرقة كالكسائي والأصمعي وابن الأعرابي والأثرم وغيرهم من أهل العلم.

الفصل الثاني: خصائص منهجه وطريقته في الاختيار والترجيح (وفيه مبحثان):

المبحث الأول: خصائص منهجه:

قبل الكلام على خصائص منهج الإمام أبي إسحاق الحربي يحسن القول: إنه لا بد لكل باحث يريد استخراج منهج عالم من العلماء في أي علم من العلوم أن يكون بين يديه مادة تكفيه ككتاب معروف الحدود واضح المعالم ليكون حكمه دقيقاً في إيضاح ذلك المنهج، وهذا التفسير الذي بين أيدينا ما هو إلا تفسير مجموع من كتب ليست في التفسير، وعليه فسيكون الكلام على خصائص منهجه كلاماً عامًّا.

ولذا فقد امتاز تفسيره – رحمه الله – بأنه يذكر الآية المراد تفسيرها، ثم يذكر تفسيره، وتارة يذكر تفسير الآية أولاً ثم يذكر الآية ويستدل على تفسيره بأقوال الصحابة والتابعين مسندة، وفي بعض الأحيان يذكر أقوال أهل التفسير دون أن يذكر رأياً له، وهو مع ذلك يذكر في أحيان كثيرة القراءات الواردة في الآية، ويكثر من نقل أقوال أهل اللغة في تفسير الآية المراد تفسيرها.

المبحث الثاني: طريقته في الاختيار والترجيح:

معنى الاختيار:

لغة: قال ابن فارس: " (خير) الخاء والياء والراء أصله العطف والميل ثم يحمل عليه، والاستخارة أن تسأل خير الأمرين لك "(١).

والاختيار الاصطفاء(٢).

اصطلاحاً: طلب ما هو خير وفعله(٣).

معنى الترجيح:

لغة: قال ابن فارس: "(رجح) أصل واحد يدل على رزانة وزيادة، يقال رجح الشيء وهو راجح، إذا رزن، وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال"(٤).

اصطلاحاً: تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل(٥).

وفي موضوعي هذا تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة قوية أو لتضعيف أو رد ما سواه(٦).

وتتبين طريقة الإمام أبي إسحاق الحربي من خلال ما يأتي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٣٢/٢)، وانظر: تهذيب اللغة (٥٤٦/٧)، ولسان العرب (٢٦٥/٤) مادة (خار).

(٢) الصحاح (٥٦٣/٢).

(٣) المفردات (٣٠١).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٨٩/٢)، تهذيب اللغة (١٤٢/٤)، والصحاح (٣٢٠/١)، وابن منظور (٤٤٥/٢) مادة (رجح).

(٥) انظر: شرح مختصر ابن الحاجب (٣٧١/٣)، وشرح الكوكب المنير (٦١٦/١).

(٦) قواعد الترجيح للحربي (٣٥/١).

أولاً: الاختيار بالجمع بين الأقوال:

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى "**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** [ص ٣٦]، حيث قال: قال الحسن: بين العاصف واللينة.

وقال مجاهد: طيبة.

وقال الضحاك: مطيعة.

كل ذلك يجوز أن تكون لينة في هبوبها، طيبة في مسها، مطيعة لمن أمرها "[١].

ثانياً: الاقتصار على ذكر قول مع وجود خلاف في تفسير الآية، ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى " وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ " [الزمر ١٧]، فقال: " هي الأصنام "[٢].

ثالثاً: اختيار صحة الأقوال جميعاً وجعلها في مرتبة واحدة.

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى "رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ " [إبراهيم ٣٨]، حيث قال: "فأجمع المفسرون أن السر ما أسررته في نفسك وأخفى من ذلك ما لم تحدث به نفسك، وقالوا أقوالاً أخرى كلها ترجع إلى الكتمان لا الإظهار"[٣].

رابعاً: الاختيار بدون ذكر سبب.

ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى "يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ " [يوسف ٤٦] يعني أهل مصر إن شاء الله[٤].

---

(١) غريب الحديث (٦٨٠/٢).
(٢) غريب الحديث (٦٤٤/٢).
(٣) غريب الحديث (٨٤٧/٢).
(٤) غريب الحديث (٩٦٤/٣).

الباب الثاني

منهج أبي إسحاق الحربي في التفسير (وفيه تسعة فصول):

الفصل الأول:

منهجه في تفسير القرآن بالقرآن:

إن المقرر لدى المختصين أن هذا النوع من التفسير هو المصدر الأول من مصادر التفسير بالمأثور، وهو أصح الطرق وأجلها وأكملها، لأنه لا أحد أعلم بالله من الله ولا أبين لكلامه منه سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب... أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر "(١).

وقال: "ومن تدبر القرآن وجد بعضه يفسر بعضاً"(٢).

وقال السيوطي: "قال العلماء من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه"(٣).

وقد اعتمد الإمام أبو إسحاق الحربي على هذا المصدر في تفسيره في مواضع قليلة، ويتبين منهجه في ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: في بيان المعنى اللغوي للآية الكريمة.

ثانياً: في ذكره للوجوه والنظائر.

وإليك الأمثلة:

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٣/١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٢٢/١٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤٩٧/٢).

١- قال الإمام أبو إسحاق الحربي: "والوجه الحادي عشر الفتنة القتل فذلك قوله "وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا" [النساء ١٠١] وفي يونس :" فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ" [يونس ٨٣] بقتلهم"(١).

٢- قال الإمام أبو إسحاق الحربي: قال المفسرون في قوله: "وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ" [التكوير ٦]، أوقدت، وقال آخرون: ملئت ناراً، وقال آخرون: فاضت، وقال آخرون: يبست، والسجر إلقاؤك الحطب في التنور، قال الله تعالى"وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ "[الطور ٦] "(٢).

الفصل الثاني: منهجه في القراءات:

الإمام أبو إسحاق الحربي من المكثرين في ذكر القراءات، ويتبين منهجه فيها من خلال ما يلي:

أولاً: أنه يذكرها تارة مسندة وتارةً غير مسندة.

ثانياً: إيراده المتواتر والشاذ.

ثالثاً: توجيهه للقراءات.

وإليك الأمثلة على ذلك:

١ - قال الله تعالى" وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا "[الإسراء ١٦]، فقرأت القراء هذا الحرف على أربعة أوجه (أمرنا وآمرنا) يقول: أكثرنا، ويجوز أَمْرنا من طريق الأمر، وأمَّرنا جعلناهم أمراء وأمِرْنا يجوز من طريق الإمارة، وأما قراءة العامة (أمرنا) قرأ بها الحسن

(١) غريب الحديث (٩٣٩/٣).

(٢) غريب الحديث (٣/١).

ومجاهد والأعرج وأيوب وابن كثير وطلحة والأعمش وعاصم ونافع وشيبة وأبو جعفر وعليها أكثر التفسير أكثرنا(١).

٢ – قال تعالى "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" [الأنبياء ٩٨]، أخبرني أبو عمرو عن الكسائي، قرأ ابن عباس (حضب) وقرأ علي (حطب)، والقراء (حصب)(٢).

٣ – قال تعالى"وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا" [مريم ٧٤]، حدثنا أحمد بن منصور الترمذي حدثنا يعقوب بن إسحاق عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير قرأ (أثاثاً وزيا) بالزاي(٣).

الفصل الثالث: منهجه في تفسير القرآن بالسنة:

قال الله تعالى: " **بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** " [النحل ٤٤]، فالآية بينت أن مهمة النبي ﷺ هي بيان القرآن، فهو عليه الصلاة والسلام المصدر الثاني الذي كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إليه في تفسيرهم للقرآن، فليس هناك أحد أعلم بمراد الله تعالى من رسول الله ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن: " فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا" [النساء١٠٥]، ... وقال تعالى:

(١) غريب الحديث (٨٦/١).
(٢) السابق (٢٦٧/٢).
(٣) السابق (٩٨٦/٣).

"وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" [النحل ٦٤] .... – إلى أن قال –: والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة"(١).

ويتبين منهج الإمام أبي إسحاق الحربي في تفسير القرآن بالسنة من خلال ما يلي:

أولاً: روايته بالسند.

ثانياً: بيانه أسباب النزول.

ومن الأمثلة على ذلك:

١ – قال تعالى " وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ " [الفلق ٣].

قال الإمام أبو إسحاق الحربي: "حدثنا عاصم، حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي سلمة عن عائشة قالت: أراني النبي ﷺ القمر فقال: هذا غاسق إذا وقب فتعوذي من شره "(٢).

٢ – ما ذكره عند قوله تعالى "إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً" [الواقعة ٣٥].

حيث قال: حدثنا مسدد، حدثنا أبو داود عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: " إنا أنشأناهن إنشاء " قال هي العجائز اللاتي كن في الدنيا عمشاً رمصاً "(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٦٣٦/١٣).

(٢) غريب الحديث (٧١٥/٢)، وسيأتي تخريج الحديث في (ص٣٧٨).

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب (ومن سورة الواقعة) حديث (٣٢٩٦) (ص١٩٨٨)، قال الترمذي: " هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يُضعفان في الحديث "، وقال الألباني: "ضعيف الإسناد "، انظر: ضعيف سنن الترمذي (٣٨٠)، غريب الحديث (١٠٨٣/٣).

الفصل الرابع: منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

نزل القرآن على نبي أمي، وقوم أميين، وجرياً على سنة الله تعالى في إرسال الرسل نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليبهم في "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [إبراهيم ٤]، وكان من الطبيعي أن يفهم النبي ﷺ القرآن، وكذا الصحابة – رضوان الله عليهم؛ لأنه نزل بلغتهم ولما شاهدوه من القرائن والأحوال، ولهذا كان تفسير الصحابة، ثم يجيء التابعون بعدهم بعد تفسير النبي ﷺ.

قال ابن كثير: "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح "(١).

وقال الزركشي: "الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ "(٢).

ويتبين منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين من خلال ما يأتي:

أولاً: طريقته في عزو أقوالهم، فتارة مسندة وتارة غير مسندة، وتارة يقول: قال أهل التفسير.

ثانياً: بيان المراد من الآية.

ثالثاً: جمعه بين الأقوال.

رابعاً: ذكره للإجماع.

وإليك الأمثلة من كلام الإمام أبي إسحاق الحربي على ما مضى:

---

(١) تفسيره (٧/١).

(٢) البرهان (٢٩٣/٢).

١ – ما ذكره عند قوله تعالى"وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ" [الصافات ١٤٦]، قال حدثنا أبو بكر، حدثنا غندر عن شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو ابن ميمون عن ابن مسعود " وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ " قال : القرع.

قال أبو بكر حدثنا أبو معاوية عن ورقاء عن سعيد عن ابن عباس"وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ "قال :القرع.

حدثنا شجاع، حدثنا يزيد، أخبرنا أصبع بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير: " كل شيء نبت من عامه ثم يموت فهو يقطين".

حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو أسامة عن مفضل عن منصور عن مجاهد"وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ"قال :القرع "(١).

٢ – ما ذكره عند قوله تعالى"وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ" [ق ١٠].

حيث قال بسقت النخلة طالت، وهو قول عبدالله بن شداد والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وقتادة "(٢).

٣ – ما ذكره عند قوله تعالى" فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ " [الشعراء ٦٣].

حيث قال: فأجمع أصحاب النبي والتابعون على أنه الجبل(٣).

٤ – ما ذكره عند قوله تعالى"فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ " [ص ٣٦].

فقال: وأما المفسرون فاختلفوا في قوله "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ" قال الحسن: بين العاصف واللينة.

---

(١) غريب الحديث (٣/١٠٢١).

(٢) السابق (٣/١١٢٣).

(٣) السابق (٢/٧٥٠).

وقال مجاهد: طيبة.

وقال الضحاك: مطيعة.

كل ذلك يجوز أن يكون لينة في هبوبها، طيبة في مسها، مطيعة لمن أمرها"(١).

الفصل الخامس: منهجه في تفسير القرآن باللغة العربية:

إن القرآن نزل "بلسان عربي مبين"، فالأخذ باللغة طريق من طرق التفسير، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من فسر الآيات بما يعلم لغة وشرعاً فلا حرج عليه، فقال: "فأما من تكلَّم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه... إلى أن قال: قال ابن عباس التفسير على أربعة أوجه:

وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله "(٢).

وقال الزركشي: "من وسائل التفسير: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن "**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** [الشعراء ١٩٥]، وقد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد بن حنبل في مواضع(٣).

ويتبين منهجه في تفسير القرآن باللغة العربية من خلال ما يلي:

أولاً: إيراده لأقوال أهل اللغة.

ثانياً: بيان معنى الألفاظ اللغوية.

ثالثاً: عنايته بالاستشهاد في الشعر.

رابعاً: ذكره للمسائل الصرفية.

---

(١) غريب الحديث (٢/٦٨٠).

(٢) انظر: مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها، للشيخ محمد العثيمين (١٤٩–١٥٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢/١٧٧) ط دار المعرفة.

وإليك الأمثلة على ذلك:

١ – ما ذكره عند قوله تعالى"وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف ١٢٦]، حيث قال: " ويقال نَقَم ينْقِم نَقْماً ونَقِم يَنْقَمُ ونَقِمت ونَقَمْت نقيمة، إذا أنكرت الأمر وانتقمت منه عاقبته بما صنع قال:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم[١]

٢– ما ذكره عند قوله تعالى"وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ" [النجم ٦١]، حيث قال: أخبرنا سلمة عن الفراء قوله: "وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ" قال لاهون.

أخبرنا الأثرم عن أبي عبيدة " وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ" يقال دع عنك سمودك.

٣– ما ذكره عند قوله تعالى"وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ [سبأ ٥٢]، حيث قال: "والنوش التناول، نشت الرجل أنلته معروفاً، قال الله تعالى "وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ" [سبأ ٥٢] "[٢].

الفصل السادس: منهجه في مسائل علوم القرآن.

يتبين منهج الإمام أبي إسحاق الحربي في علوم القرآن بما يلي:

أولاً: الوجوه والنظائر.

ثانياً: الناسخ والمنسوخ.

ثالثاً: الإسرائيليات.

وقد أكثر الإمام أبو إسحاق الحربي في الوجوه والنظائر، ومثال ذلك:

---

(١) غريب الحديث (٤٦٢/٢).

(٢) غريب الحديث: (٨٨٢/٢).

١ . قال الإمام أبو إسحاق الحربي: "قوله: (أرى الفتن كمواقع القطر)، واحدتها فتنة ولها وجوه الأول منها الشرك، فذلك قوله تعالى في سورة البقرة"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ "[البقرة ١٩٣].

والوجه الثاني من الفتنة أنها الضلالة، وذلك في قوله في آل عمران "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" [آل عمران ٧]، ثم ذكر بعد ذلك أحد عشر وجهاً فيها "[(١)].

٢ . ذكر الإمام أبو إسحاق الحربي أن (الناس) ربما كان عامّاً للناس كلهم، وربما جعل اسماً خاصّاً، وربما جعله لبني إسرائيل فقط، وربما خص به أهل مكة خاصة[(٢)].

وأما كلامه على النسخ فهو قليل ومثال ذلك:

١ . قال الإمام أبو إسحاق الحربي:

" فالمنسوخ وجهان، الأول: أخبرنا سلمة عن الفراء قال أن يعمل بالآية ثم تنزل الأخرى فيعمل بها وتترك الأولى مثبتة.

والوجه الآخر أن تنزل الآية ثم ترفع لا تتلى بقراءة ولا تثبت في كتاب مثل "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الحج ٥٢].

وأما كلامه على الإسرائيليات فمثل سابقه ومثال ذلك:

---

(١) انظر: غريب الحديث (٩٣١/٣).

(٢) السابق (٩٦٢/٣).

١ . ما ذكره عند قوله تعالى" وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" [الحج ٢٦].

قال ابن جريج: وقال آخرون أوحى الله عزّ وجل إلى إبراهيم أن ابنِ لي بيتاً، فقال: أي رب أين ؟ قال سنخبرك، فبعث الله سحابة فيها رأس، فقال الرأس يا إبراهيم إن ربك يأمرك أن تخط قدر هذه السحابة فجعل ينظر ويخط قدرها، قال الرأس: قد فعلت ؟ قال: نعم، قال: فارتفعت السحابة فحفر إبراهيم عليه السلام فأبرز أساسه وهو ثابت في الأرض، فبنى البيت وناداه أبو قبيس: يا إبراهيم هذا الركن فيّ فاحتفر عنه فجعله في البيت(١).

الفصل السابع: منهجه في آيات الاعتقاد:

كان الإمام أبو إسحاق الحربي حريصاً على الاتباع مجانباً لأهل الأهواء والبدع، وكان ينهى عن الجلوس إليهم، فقد قال – رحمه الله : " لا أعلم عصابة خيراً من أهل الحديث، إنما كان يغدو أحدهم ومعه محبرة فيقول: كيف فعل النبي ﷺ وكيف صلى، وإياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع، فإن الرجل إذا أقبل ببدعة ليس يفلح ".

وكان من حرص الإمام أبي إسحاق الحربي على الاتباع كراهيته للكلام في مسائل من العلم لم يسبق إليها، فقد ذكر أبو ذر الهروي أن إبراهيم الحربي وعد طلابه أن يملي عليهم مسألة، فاجتمع له في مجلسه ثلاثون ألف محبرة، فلما اجتمع الناس أشرف عليهم، فقال لهم: " قد كنت وعدتكم أن أملي عليكم... ثم نظرت فإذا لم يتقدمني في الكلام فيها إمام يقتدى به فرأيت الكلام فيها بدعة، فقام الناس وانصرفوا، فلما كان يوم الجمعة أتاه رجل وكان إبراهيم لا يقعد إلا وحده، فسأله عن

(١) انظر: المناسك (٤٨٣)، وتفسير الثعلبي (٢٧٤/١) عن ابن عباس، والسيوطي في الدر المنثور عن ابن جريج (٣٠/٦).

هذه المسألة، فقال: ألم تحضر مجلسنا بالأمس؟! قال: بلى، فقال: أتعرف العلم كله؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا مما لم تعرف"[١].

فمن هنا كان حريصاً – رحمه الله – على الاتباع، ولم أقف له على كلام في تفسيره يبين فيه منهجه في بيان آيات الاعتقاد.

الفصل الثامن: منهجه في آيات الأحكام:

الإمام أبو إسحاق الحربي هو إمام في الفقه إضافة إلى إمامته في الحديث واللغة، وقد وصفه بهذا غير واحد ممن ترجموا له، ومن ذلك ما قاله القفطي عنه: " وكان إماماً في العلم رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام.... إلخ "[٢].

وقال عنه أيضاً ابن الأثير: " كان إماماً حافظاً متفنناً عارفاً بالفقه والحديث والأدب رحمة الله عليه "[٣].

والإمام أبو إسحاق الحربي يعد من أئمة الحنابلة، ويدل على ذلك ما يلي:

١ . ذكره في طبقات الحنابلة:

فقد ترجم له كل من أبي يعلى[٤]، وابن مفلح[٥]، والعليمي[٦]، والعثيمين[٧]، وغيرهم[٨].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٥٧/١٣).
(٢) إنباه الرواة (١٩٠/١).
(٣) انظر: مقدمة النهاية في غريب الحديث (٦/١).
(٤) طبقات الحنابلة (٢١٨/١).
(٥) المقصد الأرشد (٢١١/١).
(٦) المنهج الأحمد (٢٨٣/١).
(٧) تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (١٨٢/١).
(٨) انظر: المذهب الحنبلي دراسة في تاريخه، د. عبدالله التركي (١٦٧/١)، ومعجم مصنفات الحنابلة للدكتور عبدالله الطريقي (٢٠٥/١).

٢ . ما أثر عنه أنه قال: " كل شيء أقول لكم هذا قول أصحاب الحديث، فهو قول أحمد بن حنبل هو ألقى في قلوبنا منذ كنا غلماناً اتباع حديث النبي ﷺ وأقاويل الصحابة والاقتداء بالتابعين "[١].

ولم أقف له على قول أتبين من خلاله منهجه في آيات الأحكام.

الفصل التاسع: مقارنة بين منهج أبي إسحاق الحربي وأبي إسحاق الزجاج في التفسير:

قبل الدخول إلى هذا الفصل أعرف بأبي إسحاق الزجاج، فهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج، واشتهر بالزجاج لأنه كان يخرط الزجاج في بداية حياته في بغداد، وكان يقول عن نفسه: " كنت أخرط الزجاج، فاشتهيت النحو فلزمت المبرد لتعلمه "[٢]، وبعد الترجمة أقول: إن الناظر في منهج الحربي والزجاج يلاحظ أن هناك شبهاً كبيراً بين منهج أبي إسحاق الحربي والزجاج في التفسير، وإن كان ليس بين أيدينا مادة كافية في التفسير للحربي؛ لأنه مجرد أقوال مجموعة لا تعني الجزم بمنهجه في التفسير، وسيكون الكلام على هذا الفصل من خلال مبحثين:

المبحث الأول: التفسير بالمأثور.

المبحث الثاني: التفسير اللغوي.

أما المبحث الأول:

فكلا الإمامين استدل بهذا النوع من التفسير، وسبق الكلام عليه وبيان الأمثلة فيه.

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٢١٩/١).

(٢) انظر: الفهرست (٦٦)، تاريخ العلماء النحويين (٣٨)، تاريخ بغداد (٨٩/٦)، إنباه الرواة (١٩٤/١)، معجم الأدباء (٨٢/١)، سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤).

أما الزجاج فقد استدل بهذا النوع من التفسير وتوسع فيه، ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى" الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [البقرة ٢٧]، حيث قال: " عهد الله هنا ما أخذ الله على النبيين ومن اتبعهم ألا يكفروا بأمر النبي ﷺ دليل ذلك قوله عزّ وجل " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ [آل عمران ٨١] "(١).

وكذلك ما ذكره عند قوله تعالى"فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " [البقرة ٣٧]، حيث قال: "الكلمات والله أعلم اعتراف آدم عليه السلام وحواء بالذنب لأنهما قالا "قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الأعراف ٢٣] "(٢).

هذا بالنسبة لتفسير القرآن بالقرآن، أما تفسير القرآن بالسنة، فقد استدل الزجاج به أيضاً، ومثاله ما ذكره عند قوله تعالى" لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" [البقرة ٢٧٣]، حيث قال: "ومعنى (ولا يسألون الناس إلحافاً) روي عن النبي ﷺ أنه قال: من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحَفَ.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١٠٥/١).

(٢) معاني القرآن (١١٦/١)، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٦٧/١)، (٩٨/١)، (١٨٤/٣)، (١٠٠/٥).

ومعنى (ألحف) أي اشتمل بالمسألة، وهو مستغن عنها[1].

ومن الأشياء التي برزت في تفسيره عنايته بالقراءات وتوجيهها، فقد ذكر عند قوله تعالى " ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "[البقرة ٨٥]، القراءة في هذا على وجوه: (أسرى) تفدوهم، و(أسرى) تفادوهم، و(أُسَارى) تفادوهم، ويجوز (أَسَارى) ولا أعلم أحداً قرأ بها[2].

وأما بالنسبة للتفسير اللغوي فكلاهما يُعتبر من أئمة اللغة، ولذا تجد التفسير اللغوي عند الحربي هو الصبغة الظاهرة على تفسيره، ونظير ذلك الزجاج، فما تجد آية يريد تفسيرها إلا ويتعرض لجانب اللغة فيها، سواء بذكر أقوال أهل اللغة أو بالشاهد الشعري، أو بذكر الإعراب، ومثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى"وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ

---

(١) انظر: معاني القرآن (٣٥٧/١)، ولمزيد من الأمثلة انظر: (٣٧٠/١)، (٤١٧/١)، (٤٢٣/١) (٤٣٣/١)، وحديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو داود في الزكاة باب (في تعجيل الزكاة) حديث رقم (١٦٢٨) (ص١٣٤٤)، والنسائي في الزكاة باب (من الملحف ؟) حديث (٢٥٩٥) (ص٢٢٥٦)، قال الألباني: " حسن " انظر: صحيح سنن أبي داود (٤٥٢/١).

(٢) انظر: معاني القرآن (١٦٦/١)، وانظر أيضاً: (٨٧/١)، (١٦٦/١)، (١٦٢/١)، (٣٩٨/١).

ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ " [المائدة ١٢]، حيث قال: النقيب في اللغة كالأمير والكفيل، ونحن نبين حقيقته واشتقاقه، يقال نقب الرجل على القوم ينقب إذا صار نقيباً عليهم، وصناعته النقابة(١).

وأيضاً ما ذكره عند قوله تعالى"ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" [البقرة ٢]، حيث قال: وموضع (هدى) نصب ومعناه بيان، ونصبه من وجهين: أحدهما أن يكون منصوباً على الحال من قولك: (القرآن ذلك الكتاب هدى)، ويجوز أن يكون انتصب بقولك (لا ريب فيه حال هدايته) فيكون حالاً من قولك (لا شك فيه هادياً..)(٢).

وأيضاً ما ذكره عند قوله تعالى" يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[البقرة ٢٠]، حيث قال: فيه لغتان: يقال: خَطِفَ يَخْطَفُ، وخطَف يخْطِفُ، واللغة العالية التي عليها القراءة (خَطِف يخطَفُ)(٣).

وأيضاً ما ذكره عند قوله تعالى"اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ " [البقرة ١٦]، حيث قال: معناه فما ربحوا في تجارتهم، لأن التجارة لا تربح وإنما يربح فيها ويوضع فيها، والعرب تقول: قد خسر بيعك وربحت تجارتك، يريدون بذلك الاختصار وسعة الكلام، قال الشاعر:

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب

(١) انظر: معاني القرآن (١٥٧/٢).
(٢) معاني القرآن (٧٠/١).
(٣) معاني القرآن (٩٥/١).

يريد كخلالة أبي مرحب[1].

ومن هنا أستطيع أن أقول: إن هناك توافقاً في الجوانب التفسيرية بين الحربي والزجاج، إلا أن الحربي قد امتاز على الزجاج بكثرة الرواية بالسند في كثير من الاستدلالات.

وكذا الزجاج قد أكثر وتوسع في الجوانب اللغوية وبيان الإشكالات والاحتمالات والاستدراكات على أهل اللغة.

**

(١) معاني القرآن (٩٢/١)، ولمزيد من الأمثلة انظر: (١٠٣/١)، (٨٠/١)، (٨٤/١).

الخاتمـة

وبعد مسيرة شيقة أضع النقاط التالية:

* بروز أبي إسحاق الحربي في التفسير، وهذا الجانب قد خفي على كثير ممن عرف الحربي إماماً في الحديث واللغة والفقه، ولم يعرفه مفسراً، وقد تبين ذلك من خلال ما يأتي:

أ . طريقته التي بنى عليها تفسيره، وهي الطريقة الشرعية الصحيحة التي سلكها أئمة التفسير، فهو يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين.

ب . تجلى في تفسيره اعتماده الرواية بالسند عن الصحابة والتابعين.

ج . غلب على تفسيره الطابع اللغوي، فقد أجاد في شرح اللفظة القرآنية وبيان أصولها واشتقاقها ومدلولاتها في اللغة وربط ذلك بتفسير الآية إضافة إلى استشهاده بالشعر.

**

فهرس بأهم المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: فواز أحمد زمرلي. ط / دار الكتاب العربي – الطبعة الثانية – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢- البرهان في علوم القرآن. للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي. تحقيق: يوسف عبدالرحمن المرعشلي وجماعة. ط/ دار المعرفة – لبنان.

٣- قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية. لحسين بن علي بن حسين الحربي. راجعه وقدم له: الشيخ مناع بن خليل القطان. ط / دار القاسم – الطبعة الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤- تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة. لصالح عبدالعزيز آل عثيمين الحنبلي البردي. تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد. ط / مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٥- طبقات الحنابلة. للقاضي أبي يعلى البغدادي الحنبلي. تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين. ط / الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية – ١٤١٩هـ.

٦- صحيح سنن أبي داود. لمحمد ناصر الدين الألباني. ط / مكتبة المعارف – الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٧- صحيح سنن ابن ماجه. لمحمد ناصر الدين الألباني. ط / مكتبة المعارف – الطبعة الأولى – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٨- صحيح سنن الترمذي. لمحمد بن ناصر الدين الألباني. ط / مكتبة المعارف – الطبعة الثانية – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٩–غريب الحديث. للإمام أبي إسحاق الحربي. تحقيق: د. سليمان إبراهيم العايد. ط / مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ – ١٩٩٨٥م.

* * *